الاخلاق فانه ليس لهؤلاء من الاسلام الا الاسم ، ولا حظ لهم من كتابه الا التبرك بالتلاوة والرسم ، فهم بعدم القيام بحقوق القرآن كالذين قال الله تعالى فيهم « مثَلُ الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يَحملوها كمثل الحمار يَحملُ أسفاراً بئسَ القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين » والمنار قد بين بعدهم عن الاسلام في جميع أجزائه فنقم عليه بعضهم أنه يعيب المسلمين وعذره في ذلك انه يعظم الاسلام ويمدحه ويبين حقيقته وهذا يتوقف على الازراء بمن أهانوه بانتسابهم اليه حتى نفّروا الناس منه

في الايمان سعادة الآخرة وسعادة الدنيا فيا أيها الشاكّون ويا أيها الجاحدون تعالوا أبين لكم الحق واكشف لكم الشبهات عن وجهه لا تَهلِكوا وتُهلِكوا امتكم بالاسوة السيئة . اتقوا الله في انفسكم وفيمن تجرؤنهم على هدم اركان الاسلام وانتهاك حرماته وخذوا بالاحتياط ان كنتم تعقلون

﴿ السياسة والساسة ﴾

ما السياسة ومن الساسة ؟ — السياسة من جملة علوم أستاذها الفلك الدائر الذي حضر في حلقته الأولون والآخرون . واستفاد من نظامه العلماء والجاهلون . فان ارتباط المسببات بالأسباب ما عرف بادىء بدء الا بتعريف هذا الاستاذ الاعظم . وليست السياسة الا البحث عن احوال العالم المجتمع وأسباب تغيرها . واتخاذ كل طائفة أسباب السمو على غيرها بحسب اعتبارها . وما الساسة الا علماء هذه الاسباب وخطباء هذه المعاهد

قلت الفلك الدائر . ولعلي اغربت وابعدت . ولكن ليس كل إغراب

محرماً فى شرع البيان . بل أنا لم اغرب ولم ابتدع ولكننى اتبعت المثل السائر الذي شاع ضربه وتصريفه فى ارتفاع قوم وسقوط آخرين . ألم تسمعوهم يقولون : فلك دوار يعلي وينزل .

الفلك لا يعلي ولا ينزل ولكنه كناية عن النواميس والطبائع التى هو ابوها الاقدم . لا تسل ما هو هذا الفلك الدائر . ولكن سل ما هى هذه النواميس والطبائع ؟ — هذه النواميس هى الاحكام الثابتة للكائنات فى بساطتها وتركيبها . هذه الطبائع هى المزايا الراسخة للموجودات على ما هي . هذه هى التى ان ظهرت تمجد آثارها . وان بطنت تسبح اسرارها . هذه التى تجلت للانسان فصار وحيداً بين اقرانه الحيوانات وسلطاناً على عوالم الارض وما الانسان لولا انكشافها له الا كبعض هذه الحيوانات السوائم . بل ما الحيوان لولا انكشاف شيء يسير منها له الا كهذا النبات النامى .

قف عند هذه النواميس ان شئت واصعد ان شئت بعقلك الى بارئها جل جلاله . اسند الآثار اليها ان شئت واسند ان شئت لبارئها تعالى كماله . قل مثلا : النار محرقة او المحرق بارئ النار سبحانه . وقل المطر تنزله الاسباب او تنزله الملائكة باذن البارئ ما اعظم سلطانه . لا تناقشك فى هذا لانا رأيناك لا تمد يدك الى النار خشية من احراقها ووجدناك تتناول الاغذية والاشربة رجاء اشباعها وارواءها ولم نرك تأكل وتشرب العبارات . فلا تناقشنا انت على تعبيرنا . بل ان كان قريباً وجب حقه عليك . وان كان غريباً فالامر فى تركه اليك . وان استصعب عليك اخذ المقصود من هذه النبذة فدعها لغيرك وخذ انت غيرها :

السياسة علم احوال الامم . علم احوال الامة الواحدة . علم احوال النفس . ليست هذه ثلاثة علوم متغايرة بل ثلاث درجات متلاصقة . يطلق هذا الاسم على كل واحدة منها . هن ثلاث درجات لا يرسخ العالم فى واحدة منها الا أن يحيط نظره بالباقيتين . ويصح ان يقف فى واحدة منها اذا تمكن فيها قدمه ويكون معيناً لمن وقف فى غيرها

من هذه الدرجات الثلاث يكون رقيّ الامم على ايدي علمائها الى مناط السعادات . ويكون جلى المآرب دانياً لها . والذين عدموا علماء لهذه الدرجات واقفون فى الدون . راضون بالهون . يشرف عليهم الاعلون اشراف الطائر ذي الاجنحة على الدواب الزواحف ومتى شاؤا التقفوها غذاء وزقوا بها افراخهم

هذه هي السياسة وستسألون ايها القوم ماذا أعددتم منها أمام الناظرين . وستحاسبون وقد احصيت احوالكم ، واستمعت اقوالكم ، وشوهدت فعالكم ، هل لكم مواقف فى هذه المعارج ؟ هل اقتطفتم شيئاً على هذه المراقي ؟ هل ساوت مناكبكم مناكب اهل المواكب ؟

السلامة جنة فيها غرفات ، والسياسة كسياج فيه ابواب : منها باب التربية والتعليم ، ومنها باب معرفة طبائع الاقاليم ، ومنها باب معرفة الزمان وأهله ، واختبار حلوه ومره ، وحزنه وسهله ، ومنها باب معرفة ما كان ، فى غابر الازمان ، ومنها باب تأليف القلوب ، وجمع القبائل والشعوب ، ومنها باب الحذر من الخصوم ، وقهرهم بالمدافعة او بالهجوم ، ومنها باب المداراة والمداجاة ، ومنها باب التحرش والمفاجاة ، ومنها باب التفقه فى الحكم وهو باب الابواب ، ولب اللباب ، فأنتم مسئولون أي الابواب

معكم مفتاحها ، وأي الغرفات معكم مصباحها ، هل انتم داخل الابواب ام خارجها ؟ هل انتم ضربتم السياج عليكم وغلقتم الابواب ؟ ام ضربوه دونكم وصدكم الحجاب ؟

يسألونك لمن السياسة اليوم ؟ — السياسة لمن علت همتهم فجابوا من الارض البحر والبر ، وعرفوا من الناس الفاجر والبر ، ومن الطبائع النفع والضر ، . . السياسة لمن نفذت عزيمتهم فرضخ لسلطانهم أليمٌ ، واستكان لبعض تدبيرهم الجوُّ ، وناجتهم الارض دالّةً اياهم على غوامض اسرارها ، وخفايا كنوزها ، وخافتهم النفوس فسكنت لاحكامهم ، وترجتهم العقول فتعلقت بمعارفهم ، . . السياسة لمن يعرفون اسباب القوة ، ويعلمون التصرف بالضعيف ،

أنا لم أمدح قوماً معينين ولكني عرفت اوصاف الذين بيدهم مقاليد السياسة العظمى فمن وجد ما يعارض به كلامي فليفعل

وأنا لم أتنبأ بهذا كل معرفة وخبير عن قوم معينين ولكني أبين ولا حرج فأقول : إنا ايها المسلمون اعتدنا ان نستهزئ بالاسباب كثيراً وبهذا خسرنا ما خسرنا

فبينا نسوس الناسَ والأمر أمرُنا اذا نحن فيهم سُوقةٌ نتنصّفُ

أفليس من استهزائنا بالاسباب استهزاؤنا بالافراد الذين يريدون اصلاحاً ؟ وهل الذين نهضوا بالامم الاخرى الا افراد أمثالهم ؟ ومن ظن ان هنالك سبباً لخسراننا غير استهزائنا بالاسباب فليقل فأية سياسة لنا اذا كنا نستهزئ بالاسباب ؟ هذا ما عندي والسلام على النظام العام

دمشق ع . ز (تتبعها مقالة)